

ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربي

The Translation of Children's Stories in the Arab world

د. سمير الرحمانني*

جامعة أحمد زبانة بعليزان (الجزائر)

samir.errahmani@cu-relizane.dz

تاريخ الإرسال: 2020/10/17 تاريخ القبول: 2020/11/14 تاريخ النشر: 2020/12/01

ملخص

تتضمن هذه الورقة البحثية في مجال الترجمة الأدبية على دراسة تاريخ وواقع ومستقبل قصص الأطفال في الوطن العربي؛ وبالأخص القصص المترجمة عن العالم الغربي. بدأت الحديث عن الأهداف المرجوة من وراء جلب هذه القصص للطفل العربي الصغير، ثم حاولت الفصل في مسألة منبع وأصل قصص الأطفال لدى العرب قديماً. بعدها قمت بتعداد أهم المترجمين العرب الذين أثروا مكتباتنا بهذا الجنس الأدبي؛ وأهم ما ميز ترجماتهم من نقاط سلبية وإيجابية. وختمت المقال باستعراض المخاطر التي يمكن أن نجدها في القصص الأجنبية إذا ما ترجمت إلى أبنائنا من غير تهذيب مع التمثيل.

الكلمات المفتاحية: تأليف؛ ترجمة؛ طفل؛ قصة؛ وطن عربي.

Abstract

This research paper in the field of literary translation deals with the study of history, current situation and future of children's stories in the Arab world; especially the translated ones from the Western world. I started talking about the intended purposes of bringing these stories to the Arab child. Then I tried to settle on the matter of the origin of Arab children's stories in the past. I also enumerated the most important Arab translators who have enriched our libraries with this literary gender; and what have most distinguished their translations from negative and positive points. The article is concluded by reviewing the dangers that we can find in the foreign stories if they are translated to our children without refinement with some examples.

Keywords: Authoring; Translation; Child; Story; Arab world.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

تبقى أسمى غاية يُسعى إليها من وراء ترجمة أدب الأطفال بوجه عام وقصصهم على وجه الخصوص من وإلى الشعوب قاطبةً هو التبادل الثقافي بين مختلف الحضارات الإنسانية وإثراء الحوار الحضاري بين مختلف الأمم في إطار الاحترام المتبادل طبعاً، وعدم التعالي على الآخر أو محاولة إقصائه أو تهميشه. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13). فالله سبحانه وتعالى يدعو بني آدم للتعارف فيما بينهم بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو الثقافية.

والقصص في الوطن العربي، وبالأخص الموجة منها للطفل الصّغير تُساهم في تعريفه على الآخر وكشف مكنوناته، سواءً أكانت هذه القصّة أصلية أم مترجمة له. فهذا ما يجرتنا للتساؤل إذا كانت هناك ميزات في جلب هذه القصص لأطفالنا العرب؟ ومن هم الذين ساهموا في هذا الجلب أو التّقل عن حضارات وثقافات أخرى مختلفة؟ وهل كان هذا التّقل هو الزّافد الوحيد في بداية كتابة القصّة للطفل عندنا؟

1. القصص وأهميتها في بناء شخصية الطفل:

تتمثل أهمية القصّة في بناء شخصية الطّف — على أربعة مستويات: بناء عقائدي وبناء تعليمي وبناء تربوي وبناء ترفيهي.

1.1. البناء العقائدي:

كتب أهل كلّ أمة أدبهم مستمدّين ذلك من عقائدهم، فنجد آثار تلك العقائد ظاهرة في آدابهم جلّية، وبما أنّ ديننا الإسلام هو خاتم الأديان؛ وجب أن يكون هذا الأدب عاكساً لهذه الحقيقة، ومنه تصل عقيدتنا إلى الطّف عن طريق الرّبط بينها وبين جميع حواسهم؛ ولا خوف من ذلك؛ لأنّ عقيدتنا لا تصطدم بشيءٍ من الحقائق العقلية، لا في هذا العصر ولا في غيره، لأنّ الإسلام دينٌ صالحٌ لكلّ زمان ومكان. وكلّنا يعلم أنّ أوّل ما يُستحبُّ أن يسمعه المولود الجديد هو الشّهادتان، وكان سلفنا يحرصون على أن يتعلّم أولادهم الشّهادة وهم صغار، حتّى تنمو معهم ويزداد حبّهم لها.

يقول الغزالي: «إعلم أنّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يُقدّم إلى الصّبي في أوّل نشوئه ليحفظه حفظاً لا يزال ينكشف له معناه في كِبَرِهِ شيئاً فشيئاً». (الغزالي، 1991، ص: 123) بمعنى أنّ الطّف حتّى وإن جعلناه — لا إرادياً — يحفظ معلومة في صغره فإنّه سيتعلّم كيف يُفكّك شفرتها وكيف له أن يستسيغها وهو يتقدّم في سنّه.

لا بُدَّ من ترسيخ عند الطَّفل محبة الله - سبحانه وتعالى - ومعرفة قدرته، وأنَّه خالق الثَّقَلين ومُسيِّر الكون، وأنَّنا إليه راجعون، فينشأ الطَّفل غير مُشوَّش الدَّهن، وليس في نفسه ألف سؤال وسؤال ينتظر الجواب، ولا تهرُّه أوَّل كلمة مشكَّكة، ولا ينساق وراء الجهل والتَّعصُّب، فيقع في الشُّرك أو البدع المهلكة أو حتَّى الخروج عن الملة والعباذ بالله. فما أجمل تلك الأناشيــــــــــــد التي تُمجِّد الرِّحمان وتحتُّ على التَّدبُّر فيما خلق، أو تلك القصص والصُّور التي تزيد الطَّفل تأكيداً بعظمــــــــــــة العظيم وقدرته على فعل كل شيء، عندئذ يكون مستعداً للتَّضحية في سبيل الله والدِّفاع عن مقدَّساته بكلِّ ما أوتي من قوَّة.

ولا أعني أن تكون هذه الأمور العقديَّة في قصَّة الطَّفل إضافة محضة لا تزيد ولا تنقص من قيمتها الجماليَّة، بل يجب أن تكون المحور الرَّئيسي الذي تدور حوله قصص الأطفال برمتها ويجب أن تُرافق هذه الإضافة المهمَّة شيء من عوالم الطَّفل حتَّى يقبله ذهنه بسهولة ويكون أكثر استيعاباً لها.

2.1. البناء التَّعليمي:

يمكن للقصص أن تبني شخصية الطَّفل من النَّاحية التَّعليمية حينما تُحقِّزه على اكتشاف كلِّ جديد، ومعرفة خفاياها من علوم الدُّنيا التي تُحيط به كمكوِّنات جسم الإنسان وآلية عمله، وخلق الحيوانات والأرض والأفلاك وغيرها، وأن تُعرِّف بإبداعات الخالق وعظمته مع ربط ذلك بالقرآن الكريم الذي يحوي الكثير منها. كما تُعلِّمه القصص علوم الإنسان كالتَّاريخ والجغرافيا والفيزياء والحاسوب والأقمار الصَّناعية، ليُشبع في نفسه حبَّ المعرفة ولتنمية ما لديه من هوايات لتصبح مهارات يتميَّز بها لاحقاً. وفي هذا الصَّد يقول محمَّد بريغش: «وأدب الطَّفل يُعيَّن على اكتشاف الهوايات والحصول على المهارات الجديدة، ويعمل على تنمية الاهتمامات الشَّخصية عند الطَّفل.» (بريغش، 1992، ص: 29)

كما يمكن تشجيعه على استعمال تلك المعارف في حديثه مع غيره، وفي إلقاءه ومخاطبته للجمهور، ولنعلم مدى فائدة تلك القصص للطَّفل لننظر إلى الرِّسوم المتحرِّكة المدبَّجة أو المنتجة محليًّا؛ فلغتها الفصحى علَّمت أكثر الأطفال هذه اللُّغة المحبَّبة، وأصبح أغلب أطفالنا المتابعين لها يفهمون لغتهم الفصحى وإن لم يستطيعوا الكلام بها بشكل جيِّد، وظهر أثر ذلك في كتاباتهم، فزادت مفردات الفصحى وأساليبها عندهم، وأنَّرت في حديثهم وكتاباتهم.

3.1. البناء التربوي:

لا تقل أهمية تلقي الطفل للتربية بواسطة القصة عن تلك التي يتلقاها من طرف أبويه أو من مدرّسيه أو ممن يحيط به. لأنها تكون أكثر سرعة في الترسخ في ذهنه عندما يتلقى هذه القصة سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم بصرية.

ولأنّ الطفل بطبعه ميّال إلى تقليد غيره من الناس (كفاراً كانوا أو مسلمين) بالحسن أو بالقبیح. فلا بُدَّ للتربية أن تُراعي هذا الجانب؛ فهو عندما يُشاهد رسوماً متحركة أو يقرأ أو يسمع قصة فإنّه سرعاناً ما يُحاول أن يتقمّص دور شخصية أُعجب بها، فيُحاول قدر الإمكان تقليدها؛ لذلك وُجِب علينا أن نستفيد من ذلك للطفل وخاصة في الأدب السّمي البصري؛ لأنّه أسهل طريق للتربية لا يحتاج إلى جهد وعناء كبيرين.

إذن يحرص أن تكون هذه القصة مُربية للطفل على الأخلاق الحسنة الفاضلة مُتّصفاً بالتوحيد قبل كلّ شيء؛ ومثال ذلك قصة تصوّر طفلاً ينشأ على الفطرة الإلهية مُوجداً ويتّصف بأخلاق حسنة وصفات نبيلة فيتأسّى بها الطفل ويُعجب بها إلى حدٍّ بعيد.

4.1. البناء الترفيهي:

لا يجب أن نغفل دور الترفيه في بناء شخصية الطفل السّوية، لأنّه علينا أن لا ننسى أننا أولاً وأخيراً بصدد التعامل مع طفل؛ يحبّ التّسلية والترفيه ويميل من الجِدِّ بسرعة؛ فعندما نُقدِّم له العقيدة والتّعليم والتّربية عن طريق التّرفيه فلا بُدَّ أنّه سيُقبل عليها وتنغرس في ذهنه أكثر ممّا لو كانت مجردة من التّسلية والإمتاع. ولا أدلّ على ذلك من تعلق الأطفال بالأفلام المتحركة والقصص الملوّنة. يقول عبد الفتّاح أبو مِعال: «والفيلم المصوّر المسجّل بالصّوت والمُصاحب للحركة يُساعد على إيصال المادّة التّعليمية إلى جميع فئات الأطفال، فهذه العناصر: الصّوت والصّورة والحركة، تُقوّي سرعة البديهة والذاكرة، وتُعزّز القدرة على الفهم والحفظ». (التّوثيق، 1986، ص: 36) وما ينطبق على الرّسوم المتحركة يسري على القصص الطّفولية كذلك.

لكن ابتغاء التّسلية والترفيه للطفل لا ينبغي أن يكون الهدف الأسمى في قصصه. حيث ينصرف أطفالنا في وقتنا الحاضر نحو التّسلية أساساً، فيصطدمون بأشياء تُنافي أحياناً معتقدات دينهم وطريقة تربيتهم وحقائق تعلّمهم. ولكن بالرّغم من ذلك، يجب أن يكون التّرفيه في أدبهم من دون تفريط ولا إفراط؛ فالطفل عندما يلوّن قصة أو يشاهد مسرحية أو يقرأ قصة فإنّه يستمتع بذلك ويتسلّى به، ولكنّه يكتسب في

الوقت عينه من تلك التّسليّة قيماً ومفاهيم إنّ صيغت بما نريد أفادته ومجمّعه، وإنّ صاغها غيرنا قد تفيد ولكّنها تضرُّ أيضاً.

2. أهداف ترجمة القصص للأطفال:

إنّ الهدف من ترجمة أدب الطّفل هو إطلاع أطفال العرب على آداب الأمم الأخرى. لذلك نجد المترجمون يُسرّعون إلى الاعتراف من هذه الثّروة العالميّة الزّآخرة بالقصص المتنوّعة تنوّع شعوبها وبيئاتهم، فيعطونها قالباً عربيّاً لغّة وثقافة؛ حتّى تكون في متناول إدراك هذا الطّفل العربي، فتُفتّح أمامه نوافذ العالم الخفيّ ويكتشف حياة الأمم وتاريخها ومختلف عاداتهم وتقاليدهم وخبراتهم فتشكّل بذلك جزءاً مهمّاً يُضاف إلى ثقافته المحليّة المكتسبة قبلاً. (خواني، 2008، ص: 79)

ولكن في بعض الأحيان، يترك المترجمون العرب القصص الأجنبيّة على حالها من دون تلبّيس عربي سواءً أكان الأمر يستدعي ذلك أم لا آخذين بعين الاعتبار مسألة ضرورة حفظ أمانة النّصّ الأصلي. فتسقط جرّاء ذلك النّظريّة التي تفيد بأنّ «الترجمة مرآة ترى فيها صورة مصقولة لحوار الثقافات، وصورة مشوّهة من صراع الحضارات.» (المسدي، ص: 193) والطّفل العربي بحاجة أكثر من غيره إلى قراءة القصّة سواءً أكانت مكتوبة في لغته الأم أم مترجمة إليه عن لغة وثقافة تختلفان في غالب الأحيان — إن لم يكن دائماً — عن بيئته الأصليّة التي اعتاد عليها وتربّى في كنفها، وذلك من أجل التّعريف على هذه الثقافة الجديدة عليه والتألف معها ولربّما ليأمن شرّها أيضاً، ثمّ لتسليّة نفسه وتطوير ذكائه وتنمية خياله وعدم حصره في قوقعة مجتمعه الضيّقة.

ولا يمكننا نكران السّبق في هذا المجال — أي الكتابة للأطفال والترجمة لهم — للعالم الغربي وما تحمله القصص المنشورة هناك من مواضيع جديدة وأصليّة وشيّقة، ومن رسومات مذهلة بمعايير احترافية تتماشى ونفسية الطّفل الأوروبي أو الغربي عموماً وسرعة تطوّره ويقظة فطنته. من أجل ذلك تتسارع دور النّشر في الوطن العربي إلى جلب هذه التكنولوجيا الأدبية الطّفولية بُغية صقل الطّفل الشّرقى بهذه المواهب والمزايا.

كما تُساهم ترجمة قصص الأطفال للغّة العربيّة وعن العالم المتقدّم في إثراء مكتبات الوطن العربي بعناوين جديدة لربّما لم يكن الطّفل العربي ليطالعها في لغاتها الأصليّة، وبمحاربة النّقص الكبير للقصص المكتوبة أصلاً باللّغة العربيّة، وتنويع الخيارات القصصية المتاحة له في مختلف المواضيع والمضامين والإمام بالطّرق العصريّة في التّعامل معه عن طريق محتوى هذه القصص.

وتُساعد القصّة الموجهة للأطفال (المحلّية أو المترجمة) في تنمية قدراتهم الإبداعية مستقبلاً «ويعتبر بعض علماء النفس مردّ إعجاب الأطفال بالقصص والحكايات إلى أنّها لون من ألوان اللعب الإيهامي الذي يحتاج إليه الأطفال احتياجاً شديداً، نظراً لتشجيع الأطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد». (محمود، 2008، ص: 27) فالقصّة بمثابة لعبة تجريدية Abstract Game يستخدمها الأطفال في ملأ فراغهم وإمتاع دماغهم وتدريب خيالهم؛ لأنّ الخيال يلعب دوراً محورياً في تطوير عقل الطفل وتنميته.

وفي القصّة كذلك مجال للأطفال لإعادة الاتّزان إلى حياتهم، حيث يجدون فيها دائماً شخصيات تُشبه إلى حدّ ما أناس يقابلونهم يومياً في حياتهم كأبائهم وأمهاتهم أو معلّموهم في المدارس أو حتّى أحد من أقاربهم. (العنتيل، 1966، ص: 5) ومن الناحية النفسية أيضاً؛ تهدف القصّة إلى بناء شخصية سويّة للطفل تتلاءم وفطرته وتجعله يُميّز بين الخير والشرّ والحقّ والباطل؛ حينما يُعجّب هذا القارئ الصّغير بإحدى الشّخصيات البطلة الخيرة فيلجأ إلى تقليدها ومحاولة معرفة أيّ شيء عنها.

ومن أهداف ترجمة قصص الأطفال بعد تلك التي تُعنى بتعريفه على الآخر؛ تعليمه القيم والأخلاق الحسنة العديدة والمتنوّعة وترسيخها في ذهنه بطريقة غير مباشرة بحيث لا تكون العبرة أو الحكمة التّأنيّة للقصّة واضحة مُستندة على الأمر والنّهي، وإنّما على الطّفل لوحده -إن استطاع- استنتاجها واستيعابها. ومثال ذلك القيم الاجتماعية كأداب المائدة والجلوس والكلام، والقيم الخُلقية كحسن المعاملة والمحبة والوطنية والمحافظة على البيئة وغيرها من الصّفات الحميدة. (أبو النّصر، 1994، ص: 217) مع أنّ ديننا الحنيف بآياته الكريمة وأحاديثه الشّريفة كان سباقاً في الحثّ على هذه الآداب والمعاملات الحسنة وتلقينها للصّغار حتّى يشبّوا عليها؛ كأداب المائدة وآداب الطّريق وغيرها، إلّا أنّنا صرنا -وللأسف الشديد- نبتاع لأبنائنا قصصاً أعجميةً أو مترجمة للغة العربية فيها مثل هذه القيم؛ بهدف ترسيخها في أذهانهم، معتقدين خطأ أنّها نتاج الحضارة الغربية.

ويُمكن للقصّة المترجمة من اللّغات الأجنبية كذلك أن تُساهم في تلقين الطّفل معارف جديدة كانت غائبة عنده؛ معلومات عن أزمنة وبالخصوص أمكنة مختلفة لكتّاب أجانب عاشوا وعاشوا ظروفًا أخرى لم يختبرها الطّفل الشّرقى ولربّما لن يفعل طيلة حياته كلّها لأنّ «خبراته الدّاتية المحدودة بحدود زمانه ومكانه (بيئته) لا يمكن أن تسمح له بالنّمو المطلوب والشّخصية المتطوّرة المتفتّحة، ومن هنا تكون تجارب الآخرين من خلال القصص التي تقدّم له زادًا يساعده على أن يتعرّف على أشياء لا تكاد تُحصى، وأشخاص كثيرين عاشوا في زمان ومكان غير زمانه ومكانه.» (السيد

حلاوة، 2003، ص: 7)

بالإضافة إلى كل ما ذكر و/أو تأكيداً له؛ يرى هادي نعمان الهيتي أنّ الدور الثقافي للقصة لا يمكن إغفاله، فمع أنّها تجمع بين مضمونها الأدبي اللغوي وما فيها من خيال وقيم فهي أيضاً وعاء لنشر ثقافة معينة سواءً أكانت هذه الثقافة محلية مألوفة لدى الطّفّل المتلقّي أم خارجية وغريبة عنه. وعليه يرى بعض الباحثين أنّ ثقافة القصة تعكس إلى حدّ بعيد سمات المجتمع الذي انبثقت منه. (الهيتي، 1988، ص: 172) وتحليل قصص الأطفال بالذات يقود إلى الوقوف على ما يريده وما لا يريده الكبار لأطفالهم.

3. الترجمة أو التّأليف... أيهما أسبق في الوطن العربي؟

يقودني هذا التساؤل إلى البحث في مسألة زعم بعض المفكرين والأدباء الأوروبيون - وبالخصوص المستشرقين منهم - أنّ الترجمة لوحدها كانت هي المؤثر الأساسي الذي ولّد فنّ كتابة القصص للأطفال في الوطن العربي. وأنّه لولا احتكاك المثقّفين العرب بالحضارة الأوربية والاعتراف من نهضتها لما أمكنهم التّعرف على هذا الجنس الأدبي الجديد المخصّص للمتلقّي الصّغير.

ولكن حقيقة الأمر تختلف كثيراً عن هذا الادّعاء؛ حيث أنّ فنّ كتابة القصص للأطفال بدأ في الوطن العربي بالتّأليف وليس بالترجمة باعتبار الترجمة لم تكن سوى عامل من العوامل التي ساهمت في تسريع نموّ هذه الكتابة ليس إلّا. (الفيصل، 1987، ص: 129) فقد ساهم العديد من الأدباء العرب من أمثال كامل الكيلاني وأحمد شوقي وغيرهم في الكتابة للطفّل من تلقاء أنفسهم خلال القرن التاسع عشر وما قبله بأمّير كبير. حتّى لو قام الكثير منهم بالنقل من الحضارة الغربية فإنّ أعمالهم لم تقتصر على الترجمة فقط وإنّما شملت التّأليف كذلك.

وهذا ما يؤكّده أحمد زلط في قوله أنّ الترجمة والاقتباس والمحاكاة عن الغير والتّأليف الشّخصي كذلك؛ ساهمت كلّها في البدايات الأولى لفنّ كتابة القصص للأطفال في الوطن العربي وبالخصوص في مصر، إلّا أنّه سرعان ما بدأت ظاهرة الترجمة في الزوال تاركة المكان للتّأليف. (زلط، 1990، ص: 162) ولم يقتصر الأمر في الكتابة للأطفال على مصر فقط، وإنّما حذت بعض الدّول العربية في المشرق حذوها وأحياناً تفوّقت عليها على غرار سوريا ولبنان والعراق.

وفي القرن العشرين، ظلّت الترجمة مصدراً من مصادر قصص الطّفّل في الوطن العربي وبالخصوص فترة ما بين الحربين، ولكنّها ما لبثت تتراجع لصالح التّأليف

في السبعينات من القرن نفسه، دون أن تختفي ودون أن تتمكّن من المحافظة على مكانتها السابقة. (الحديدي، 1973، ص: 169) وهذا يدلّ على أنّ الترجمة كانت مساهمة في الإنتاج الأدبي الطفولي وليست المنتجة الوحيدة له.

ولكن للهييتي رأي آخر في القضية حيث يقول: «إنّ أدب الأطفال اعتمد على الاقتباس والترجمة من التراث الأجنبي، رغم أنّ أدب الأطفال الغربي –بالذات- استفاد، إلى حدّ كبير، من التراث العربي... أمّا التّأليف للأطفال فقد ظهر في فترة متأخرة من عمر أدب الأطفال.» (الهييتي، 1988، ص: 225) فهو بذلك يقرّ بحقيقتين مهمّتين، أولاهما أنّ العرب بدؤوا بترجمة القصص الغربية التي كانت أصلاً متأثرة بالتراث العربي. فهل نعدّها ترجمة عن الغرب أم إعادة تأميم لما كان أصلاً في السابق عربياً؟ والحقيقة الثانية التي وافق فيها غيره ومفادها ازدهار حركة التّأليف منذ النّصف الثّاني من القرن العشرين على حساب الترجمة. ولكنّ الباحث يحصر هنا نظريته في العصر الحديث مع أنّ جذور القصّة العربية الطّفلية تمتدّ إلى عصور أسبق بكثير، فهي إن صدقت في ذلك الزّمان فلا تصدق قبله ولا بعده.

وعليه؛ لا ينكر أحدُ الدّور الذي لعبته الترجمة في تطوّر فنّ كتابة القصص للأطفال في وطننا العربي وبخاصّة خلال بعض الفترات بعينها؛ كفترة الثّلاث الثّاني من القرن العشرين أين كانت معظم الدّول العربية تعاني من ويلات الاحتلال، فاكتمى الأدباء العرب بالاقتباس والنّقل والترجمة عن اللّغات الأجنبية. أمّا بدايات كتابة القصّة الطّفلية فتراجع إلى عصور سابقة، وقد كانت هذه البداية عربية بحثة مستندة على التّأليف الشّخصي، حيث كان للعديد من الأدباء من مصر وبلاد الشّام غالباً؛ الفضل الكبير في إثراء المدوّنة العربية بمثل هكذا قصص إلى أطفالنا العرب، وهناك أيضاً فترات اشتغل فيها الكُتّاب على التّأليف تارة وعلى الترجمة تارة أخرى.

4. رُوّاد ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربي:

عدّد إبراهيم عوض (عوض، 2014) بمعية باحثين آخرين أهمّ المترجمين العرب الذين قاموا بنقل القصص الأجنبي إلى وطننا العربي، ولم يكتفوا بالتّعداد وحسب؛ وإنّما ذكروا لنا أيضاً أسماء الرّوّاد في هذا المجال من الكتابة. فيُقال أنّ رفاة رافع الطّحطاوي (1801 - 1873م) كان من بين الأوائل والسّباقين في ميدان ترجمة قصص الأطفال؛ وذلك من خلال ترجماته العديدة لهذه القصص عن اللّغة الإنجليزيّة مثل قصّة عقلة الأصبغ. (العناني، 1996، ص: 14) وفي سنة 1867م قام الطّحطاوي بترجمة مغامرات تليماك The adventures of Telemachus للقسّ الفرنسي فنلون (François)

1715- 1651) (de Salignac de la Mothe-Fénelon) وأسماءها: مواقع الأفلاك في وقائع تليماك.

وفي مصر نبقى، أين أتمَّ محمَّد عثمان جلال (1838 - 1898م)؛ وهو أحد تلامذة الطَّباطوي؛ بين أعوام 1849 و1854م ترجمة معظم الحكايات الشَّعرية الخرافية الغربية إلى اللُّغة العربية نقلاً عن الشَّاعر الفرنسي جون دو لافونتين (Jean de La Fontaine) (1621- 1695) وقد أطلق محمَّد عثمان جلال على كتابه المترجم عنوان: العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ. (عبد التَّواب، 1985، ص: 10) وفي سنة 1872م ترجم قصَّة بول وفرجينى Paul and Virginia للكاتب الفرنسي جاك هنري برناردين دوسان بيير (Jacques-Henri Bernardin de Saint-Pierre) وعنوانها: الأمانى والمنَّة في حديث قبول وورد جنة.

وقام كامل الكيلاني (1897 - 1959م) بالإضافة إلى مساهمته بالتَّأليف في هذا المجال بترجمة العديد من القصص للأطفال نذكر منها: رحلات جلفر GULLIVER'S Travels لجوناثان سويفت (1745- 1667) (Jonathan SWIFT). كما تُعدَّ من أنجح ترجماته الطُّفولية لأنَّها حقَّقت الهدف التَّربوي للقصَّة وسمت بمستوى التَّرجمة تقنيَّة ولغةً وأسلوبًا. فقد كان الكيلاني دومًا حريصًا على تربية الطُّفل السَّليمة وعلى أن تكون لغته صحيحة.

أمَّا من الشَّام؛ فيضيف عوض؛ أنَّ المترجم اللَّبناني بطرس البستاني (1819 - 1883م) قام بترجمة روبنســــــــــــــــون كروزو Robinson CRUSOE لدانييل ديفو (1731- 1660) (Daniel DEFOE) سنة 1861م، وسمَّاه: التُّحفة البستانية في الأسفار الكروزيَّة. وترجم الدَّمشقي يوسف اليان سركيس (1856-1932م) الرِّحلة الجويَّة في المركبة الهوائية لجول غابريال فرن (1828 - 1905) (Gabriel VERNE Jules) سنة 1875م.

ومن فلسطين نذكر خليل بيدس (-1874 1949م) الذي ترجم بعض القصص من اللُّغة الرُّوسية مثل: ابنــــــــــــــــة القبطان لألكســــــــــــــــندر سيرقيفيتش بوشكين (1837- 1799) (Alexander Sergeyevich PUSHKIN) سنة 1898م، وأهوال الاستبداد لليــــــــــــــــو نيكولايفيتش تولستوي (Lev Nikolayevich TOLSTOY) سنة 1909م، والمشوّه Quasimodo لفكتور ماغي هوجو (1828 - 1910) (Victor Marie HUGO) وكذلك نجد أحمد شاكر الكرمي (1894 - 1927م) الذي ترجم عددًا كبيرًا من الأعمال القصصية لتشوسر وتولستوي وأوسكار

وايلد وتشيوخوف ودي موباسان.

ومن القصص المترجمة في العراق؛ قصّة الإصبعي، التي ترجمها أنستاس الكرملي (1866 - 1947م) عن الفرنسية، وأيضًا قصّة للكاتب الفرنسي إكزافيه مريميه بعنوان ينبوع الشّقاء.

ومن التّرجمة القصصية في السّعودية ترجمة عبد الجليل أسعد لبعض أعمال هنري ريني ألبرت غي دو موباسان ((Henri René Albert Guy de Maupassant) (1850- 1893م) وغيره، ومنها على ضوء القمر. وترجمة عبد العزيز ضياء الدّين زاهد مراد (1914 - 1997م) المشهور باسم عزيز ضياء لعدد من القصص منها الحلم سنة 1957م، والكنز سنة 1958م، وحقائق الحياة سنة 1961م لوليام سومرست موم (1874- 1965) (William Somerset MAUGHAMم)، ورائعة جورج أرويل (George Orwell) (1903- 1950م) واسمه الحقيقي إريك آرثور بليير (Eric Arthur BLAIR): العالم؛ عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين.

وفي اليمن، قام عبد الله عبد الرّحيم بترجمة قصّة 'أرملة على قبر' لتشارلز جون هوفام ديكنز (1812- 1870 Charles) (John Huffam DICKENSم) سنة 1944م. و'زوجتي أو زوجته' لبرنارد هوليد التي ترجمها سنة 1945م.

ويختتم إبراهيم عوض ذكره لأهمّ المترجمين العرب بالجزائر حيث نجد ترجمة قصّة لفرانسوا ريني دو شاتوبريان ((François-René de Chateaubriand) (1768- 1848م) بعنوان 'آخر بني سراج' التي قام بها أحمد الفاغون، وصدرت سنة 1864م. أمّا في العصر الحديث، فتعدّ قصّة 'الغزيلة' أو 'عنزة السيّد سيقان' (خيّاط، 1994) نموذجًا ناجحًا للتّرجمة الطّفولية بالجزائر من إنجاز أحمد خيّا. بالإضافة إلى ترجمات أخرى قامت بها إنعام بيّوض لفاطمة بخّاي.

5. مميزات بدايات ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربي:

ما يُلاحظ في ترجمات الأدباء العرب القدامى؛ وبالأخصّ المصريين منهم؛ وما جعل بعض المختصّين يتحقّق عليها ويعدّها تعريبًا للقصص أو إعادة صياغة لها وليست إطلاقًا ترجمة وذلك راجع للأسباب التّالية (عوض، 2014):

- تغيير حوار الشّخصيات في القصّة إلى سرد وذلك ما يُفقد القصّة نشاطها وحيويتها وقد يُميّتها، جاعلها نصّ خالي من التّواصل الدّاخلي الذي يكون بين الممثّلين والخارجي الذي يربط القارئ بها.

- الاستشهاد ببعض الأبيات الشعرية في القصص المترجمة كلما سمحت الفرصة، وذلك ما جعل النقاد يعدونها تعريباً أكثر منها ترجمة.
- قيام أغلبية الأدباء بإعادة صياغة الترجمات العربية التي كان يُكلّف بها أشخاص آخرون عن اللغات الأجنبية والتي كانت في أغلب الأحيان غير متقنة نحويًا وصرفيًا وتركيبياً أو مجهولة تمامًا لدى الكاتب.
- أمّا الأدباء المتمرسين في الترجمة فكانوا يقرؤون الفصل من القصة ويدعونه ثمّ يترجمونه إلى اللغة الهدف مضيفين وحاذفين أشياءً ومقدمين تارة ومؤخرين تارة أخرى.
- اتّخاذ الكثير من المترجمين حرفة الترجمة ملاذًا لكسب الرّزق؛ وعليه كان هدفهم الإسراع في العملية الإنتاجية قصد الكسب المزد من المال، ضاربين عرض الحائط مسألة التدقيق ومراجعة النصوص الأصلية.
- لم ترق الكثير من الحكايات التي تُرجمت إلى مصاف روائع القصص العالمي وإنّما أُريد بها مجرد تسلية الجمهور وتشويقهم بالمغامرات كقصص النصوص والمجرمين وغيرها.
- ولكنّني أرى أنّ جلّ هذه الإنجازات كانت حقيقةً -وإلى حدّ ما- ترجمة للقصص الأجنبي ولكن بعد إعطائها قالباً عربياً شرقياً؛ أي بعد تكييفها ثقافيًا، وذلك خدمة للجمهور المتلقّي لها ولضمان وظيفية النصّ الهدف وتحقيقه للتواصل المرجو. مع أنّه كان حريّ بالمترجمين العرب ترك الحوار على شاكلته في القصة العربية وعدم تبديله إلى سرد كونه عنصر هام ومشوّق يتوق الطفل إلى تتبّعه وقرائته.
- أمّا بالنسبة للتدقيق والممارسة أرى أنّ أغلبية من قام بعملية الترجمة وقتئذٍ لم يكن ملماً بمبادئ الترجمة وعلمها (الترجمانية)، وذلك ما نلمسه حتّى في زماننا الحالي عندما يُخلط في كثير من الأحيان بين المرء ثنائي اللغة Bilingual والمترجم Translator حيث يقوم الأوّل بعمل الثاني لاعتقاده بسهولة المهمّة الموكلة إليه.
- وأخيرًا وإن صدقت تحفّظات النقاد على هذه الترجمات في أرض الكنانة، فهي لا تكاد يكون لها مكان في الترجمات التي قام بها المترجمون في لبنان وسوريا والعراق كونهم كانوا أدري بخصوصيّتيّ وعبقريّتيّ اللغتين الإنجليزية والفرنسية وأكثر احتكاكًا بالثقافة الأوروبية.
- كما للباحث الفيصل أيضًا عدّة ملاحظات حول بدايات الترجمة للطفل العربي نوجزها فيما يلي مع التعقيب كلما سمحت الفرصة لذلك (الفيصل، 2001):
- المبادرة الفردية من قبل المترجمين على هذا الميدان. وهذا عائد على الأرجح إلى غياب

- المؤسسات الرقابية الرسمية كون أغلب الدول العربية كانت تحت وطأة الاحتلال.
- الاهتمام بترجمة النصّ—وص الأدبية وبالأخص القصص الطفلية على حساب النصوص العلمية؛ وهذا عائد للاهتمام الكبير للفرد العربي بالأدب شعره ونثره، ويُسر التحكم فيه ومعرفته به، على عكس ميدان العلوم الذي كان ولا يزال محتكرًا من قبل الغرب.
- اقتصار الترجمة عن إحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ كونهما لغتي المحتل لغالبية الوطن العربي. ونادرًا ما نترجم عن الروسية أو الألمانية وغيرهما.
- ترجمة الترجمات؛ أو الترجمة عن لغة وسيطة؛ حيث قام المترجمون بنقل إلى اللغة العربية قصصًا مترجمة أصلاً إلى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية عن لغات أخرى (الهندية والصينية والكورية والألمانية والإسبانية...) وذلك ما ساهم في فقدانها لرونقها ودقّتها، وعلى النقيض تماماً ساهم أيضاً بتعريفنا بالآخر.
- تدهور مستوى لغة الترجمة؛ فبعدما كان مستوى اللغة العربية الموظفة في الترجمة راقٍ وعالي قبل 1979م، صار همّ المترجمين تقديم أعمال لا تتقيد كثيراً بقواعد اللغة، همّهم الوحيد الرّبح السريع والكمّ الكثيف من الإنتاج.

6. مخاطر الترجمة العشوائية للقصص على الأطفال العرب:

إن أصعب ألوان الكتابة على الإطلاق هي الكتابة للأطفال. ولا يعني هذا أن نتعامل حين الكتابة لهم بقليل من الاكتراث؛ بل على العكس من ذلك؛ حيث تتطلب الكتابة أو الترجمة من أجل الطفل مهارات إضافية لا يحتاجها الكاتب الذي يكتب للكبار. ومن التهديدات التي يتعرض لها الطفل العربي في مجال الكتابة له تلك القصص التي يتسارع المترجمين وغير المترجمين في الوطن العربي إلى نقلها للغة العربية ضاربين عرض الحائط ضرورة الوقوف عند شروط ومقتضيات هذا النقل، ومتجاهلين خطرهما الثقافي على هوية المتلقّي الصّغير.

وهذا التّجاهل الخطير ليس حديث عهد بالقصص الطفولية وإنّما نجد أثره حتّى عند الكتاب والمترجمين العرب السّباقين في هذا المجال؛ فعند نقل أحمد شوقي وعثمان جلال وأحمد الكيلاني بعض القصص الأجنبية للأطفال العرب لم يُعيروا مجافاتها الرّوح العربيّة أيّ اهتمام. (أبو هيف، 1983، ص: 51) فبالرّغم من جودة صنيعهم حيث أنّهم عرّفوا أطفال زمانهم بقصص من التّراث العالمي، إلّا أنّه كان الأجدر بهم تكييفها وعدم ترجمة العناصر الثقافيّة الخطيرة على نفسيّة الطّفل العربي.

فكثيرًا ما تحمل القصص الأجنبية في طياتها أمثلة تكاد تكون مُفرطة الشّجاعة

والذكاء؛ وخاصة ما نجد ذلك عند أبطال القصص الغربية العصرية؛ كالرجل العنكبوت Spiderman أو الرجل الخارق Superman وغيرهما؛ والذي يجده الطفل غالباً وسيماً، مفتول العضلات وخلوقاً وذكياً وكأنه خُلق كاملاً معصوماً من الشوائب؛ فيعتقد المتلقي العربي الصَّغير أنَّ مثل هذه المواصفات هي اللازم حضورها في المرء حتى يصير عوناً لأخيه؛ ويرسخ في ذهنه البهيء كذلك أنَّ هذه الصِّفات لا تتواجد إلاَّ عندهم؛ هم بني الأصفر. ولربَّما غرست مثل هذه القصص وما تحمله من رسائل مدسوسة في عقول أبنائنا فكرة لطالما رغب الغرب في ترسيخها ألا وهي: 'هم شعب الله المختار وأحبَّاه ونحن العبيد لهم من يأتي في الدَّرَجَة السُّفلى من الهرم، ما خُلقنا إلاَّ لخدمتهم'. وفي هذا الصِّدد يقول الهيتي: «لا بدَّ من التَّنبية إلى خطر ترجمة قصص البطولة الأجنبية إلى اللُّغة العربية بدون تحفُّظ، لأنَّ غالبيتها تنطوي على مُثل وقيم وأخلاقيات تعيِّر عن مجتمعات مختلفة. كما أنَّ هذه القصص زاخرة بالمواقف الحادَّة، أو ربَّما الشَّجاعة والذكاء والمهارة التي تُثير دهشة أطفالنا، وحين لا يجدون لها أمثلة في واقعنا، فإنَّهم يميلون إلى الاعتقاد بأنَّ البطولة والشَّجاعة والعبقريَّة والمهارة للأجانب وحدهم.» (الهيتي، 1978، ص: 160)

وفي المسألة نفسها؛ مخافة أن يُعجب أطفالنا بالآخر الأجنبي ويُفتتن به؛ يعتقد عمر الأسعد أنَّ أكثر القصص خطورة على الطِّفل العربي المسلم هي تلك التي تتعلَّق بالعقيدة والقيم والمُثل الاجتماعية الصَّادرة عن الغير. (الأسعد، 2000، ص: 85) وهذه القصص وإن كانت تحمل في طياتها شيئاً محبِّباً لدى الطِّفل -كونه غير قادر على التَّمييز نسبياً- فإنَّها في الوقت عينه تُزعزع عنده استقراره النَّفسي وتُشَوِّش عليه عقائده التي دأب عليها مثل قصص ليدي بيرد Bird Lady المترجمة التي تُظهر الحضارة الغربية والبطولات الأجنبية على أنَّها الأحقُّ بالتَّأسِّي والافتداء.

وفي قول آخر له؛ يُشجِّع الأسعد ويحثُّ على ترجمة بعض القصص بالذَّات عن غيرها لما تحمله من فائدة علمية ومعرفية لأطفالنا، ويُنقَر في الوقت نفسه من أنواع قصصية أخرى كقصص الخيال التَّاريخي الأجنبي والأساطير فرِّبما أشادت هذه القصص ببطولات وتضحيات مزيفة هي في الحقيقة اعتداء على الآخرين وسلب لحقوقهم (الأسعد، 2000، ص: 99) وأذكر هنا بعض الأمثلة عن قصص البطولات الأجنبية التي هي في الحقيقة اغتصاب لحقوق وممتلكات الغير؛ قصَّة الأميرة الهندية بوكاهونتاس Pocahontas، ومن الأساطير الشَّركية والإلحادية نجد الأساطير الإغريقية الوثنية والمتعددة الآلهة والأساطير الصِّينية البوذية وأساطير إفريقيا السُّوداء المشبعة بأحداث مبنية على السِّحر والسَّعوذة.

كما يُنبِّه عبد العزيز عبد المجيد أنَّ بعض القصص تحوي على عناصر سيِّئة،

وهذه إذا تركت من غير إصلاح أو تهذيب وإشراف عليها؛ ربّما كانت عاملاً سيئاً في تربية الطّفل العربي، لأنّ المعلومات والحوادث التي تتضمّنُها هذه القصص تؤثر في تكوين الطّفل العقلي والخُلقي، وفي ذوقه وخياله ولغته. (عبد العزيز، 1957، ص: 09) فهذا التنبيه سند جيّد على ضرورة لجوء المترجم إلى تكييف العناصر الثقافية غير الملائمة حتّى لا يتفاجئ الطّفل الصّغير بمعطيات مغلوطة ولا يُخدش حيائه.

وقد يصطدم الطّفل العربي ببعض القصص السيئة التي تتحدّث عن الجريمة والعنف وحتّى الجنس أحياناً، والتي يُندر أن تحمل هدفاً تربوياً أو ثقافياً سليماً، «وهي غالباً مترجمة أو مقتبسة من القصص الأجنبية.» (السيد حلاوة، 2003، ص: 65) فكون جلّ النّقاد الغرب يجيزون لأطفالهم مطالعة هذه القصص عندهم فهذا لا يعني صلاح الحال عندنا؛ كوننا مجتمع شرقي محافظ لا يزال يحترم فيه الصّغير الكبير ولا يزال الوقار والحياء يميّز معاملات أفرادهِ اليومية. وهذا لا يعني أنّنا نوسّع من دائرة التّابو الاجتماعي ومن دائرة المحظور ونشجّعهما أو نقدّس الانغلاق على أطفالنا ونزيد في هوّته؛ ولكننا ندعوا إلى الاسترسال في تثقيف وتنوير أطفالنا، وعدم التّشجيع العلني والاستباقي لمثل هكذا عناصر ثقافية أجنبية.

إنّ خطر القصص الوافدة علينا من وراء البحار عن طريق الترجمة ليس بحديث العهد وإنّما يعود إلى فترة بعيدة، فقد حرصت الدّول الاستعمارية ولا سيما فرنسا وإنجلترا و.و.م.أ على تنشئة أطفال القارّة الإفريقية على العقائد الغربية، والفلسفات المادّية. ولذلك قامت كثير من المؤسّسات الرّسمية وغير الرّسمية الغربية بإنشاء المكتبات، وترجمة عدد من الكتب والقصص للدّول الإفريقية، واهتمّت بشكل خاصّ بالبلدان ذات النّسبة السّكانية المسلمة المرتفعة مثل الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا ونيجيريا والسّنغال وأوغندا، وهذا ليس محبّة في هذه الدّول ولا لرغبة في تثقيف وتعليم أبنائها كما يعلم الجميع. فتتّى شركة مكملان البريطانية Macmillan Education ومؤسّسة فرانكلين Franklin ومؤسّسة فورد Ford الأمريكيتين وغيرها، قد أنجزت برامج ومكتبات، وترجمت عدداً من الكتب والقصص لهذه الشّعوب إضافة إلى السّياسة الرّسمية التي اتّبعها الأقطار الأوربية لكي تطبع هذه الدّول بالطّابع الغربي العِلْمانِي المادّي. (محمود، 2008، ص: 34) وما زال تأثير هذه الدّول الأوربية على أدب أطفال البلدان الإفريقية ممتدّاً بعد زوال عصر الاستعمار العسكري، وبإحلال الغزو الفكري والثّقافي بدلاً منه، والذي يتمثّل في الهيمنة الثّقافية وتصدير المواد الإعلامية إلى تلك الدّول الإفريقية والتي تحمل أيديولوجيات الدّول المصدّرة الغربية.

هذه الدّول المتقدّمة التي تسعى جهدها في اختراقنا ثقافياً بتقديم أدباً

وقصصا للأطفال وإن كان ممتعاً للطفل الغربي ومساعداً له على التكيف مع مجتمعه، معدداً لمستقبله، فإنه ليس بالضرورة كذلك للطفل العربي المتلقي له لاختلاف الأمم في ثقافتها. فهذه الأمم القويّة تبغي فرض ثقافتها على البلدان الضعيفة حتّى تمحو هويتها وشخصيتها المتأصلة في التاريخ. وما ساعدها في ذلك تلك الوسائل المتطورة التي يستغلونها أيما استغلال في هذا الاختراق؛ من أقمار صناعية وتلفزيون وشبكة عنكبوتية ومطابع حديثة وورق عالي الجودة ورسومات أخاذة وغيرها من الوسائل. ممّا جعل القصص المترجم عنهم للطفل العربي وسيلة لتغريبه عن واقعه ومجتمعه وأمته محققين بذلك هدف الاختراق الثقافي ألا وهو التغريب.

7. نماذج واقعية عن العناصر الثقافية الخطيرة في القصة الأجنبية:

تُعدُّ الترجمة التي قام بها رائد أدب الأطفال الكاتب والشاعر المصري كامل الكيلاني لقصة La Barbe Bleue اللحية الزرقاء؛ لصاحبها الكاتب الفرنسي المشهور شارل بيرو (Charles PERRAULT) بامتياز خير تمثيل للتكثيف الثقافي الذي قد يلجأ إليه مترجم متمرس في عمله أثناء نقله للقصص الأجنبي لأبناء وطنه وأمته. وفيما يلي بعض الأمثلة من الأصل والترجمة توضّح هذا التكثيف.

1.7. الأمثلة من الأصل والترجمة:

تظهر تجليات التكثيف العربي الإسلامي الذي نلمسه في قصة 'اللحية الزرقاء' بدايةً مع إعطاء المترجم للزوجة اسماً خاصاً بها ألا وهو نجاة. على خلاف بيرو الذي كان يُلحّح إليها تارةً بالزوجة وتارةً بالمرأة أو الأخت. وذلك في اعتقادي لعدة أسباب:

* مكانة المرأة في أوروبا عمومًا وفي فرنسا الملكية خاصة خلال العصور الوسطى؛ حيث لم تكن ذا شأن كبير، فلم ير المؤلف أهميةً في تسميتها. عكس المكانة التي تحظى بها في مجتمعاتنا منذ ظهور الإسلام؛ فهي الأم والزوجة والبنت والجدة وهي دعامة الأسرة والمجتمع السوي.

* العدالة المتوخاة من لدن المترجم في تسمية شخصياته؛ فمثلما للأخت اسم Anne 'حياة'، فكذلك هو الأمر للزوجة (الشخصية الرئيسية الأنثوية) في القصة.

* تمكين القارئ العربي الصغير من التفريق بين الزوجة نجاة وبين شخصية أختها حياة.

* تأثير دلالة الاسم 'نجاة' في فكّ عقدة القصة فتنجو من عقاب زوجها الغاضب.

كما قام المترجم عمدًا بإصباغ أسامي الشخصيات الأخرى في منتجته بدلالات عربية محضة:

* فبدّل Anne بـ'حياة' كونها هي التي ستبعث في أختها نجاة الحياة عندما تُخبرها بمجيء أخويها لإنقاذها من زوجها.

* و Dragon أخ الزوجة صار إسمه العربي 'رجاء' لما يحمله هذا الإسم من دلالة توجي بعدم فقدان الأمل في الحياة طالما القلب ينبض. «Where there is life, there is hope».

* و Mousquetaire أخ الزوجة الثاني؛ عُرِبَ إسمه ليصير 'ضياء' وهي كذلك دلالة واضحة على الأمل والنور الذي يأتي بعد كل ظلمة منتصرة.

وفي مسألة أخرى؛ ولأنّ الأكل في أواني من فضة أو ذهب منهي عنه في ديننا الحنيف، فقد ارتأى الكيلاني حذف المقطع الذي يتحدث عن الأواني التي تخصّ البطل الغني في النسخة المترجمة.

(de la vaisselle d'or et d'argent...» (Perrault, 1993, p 115...»

ولما كانت ولا زالت الثقافة الغربية تهتمّ أساساً بالماديات، عكس الثقافة العربية الإسلامية التي جاءت روحانية ولا تغفل في الوقت عينه الشقّ المادي من حياة الإنسان؛ أي الموازنة بينهما. لجأ المترجم إلى الإجمال في ذكر ووصف الأثاث الموجود في القصة الأصلية، لأنّ هذه الماديات لم تكن يوماً محور اهتمام أدباء الثقافة العربية الإسلامية ولا سيما كُتّاب قصص الأطفال؛ بل انصبّ اهتمامهم في تربية الطّفل تربيةً حسنة مبنية على التّواضع وكلّ ما هو فضيل. ونجد هذا الإجمال فيما يلي:

(meubles en broderie...» (Perrault, 1993, p. 115...»

Les tapisseries, les sofas, coffre fort, coffret, des tables, des miroirs.» (Perrault, 1993, p 117

«...يحويه من كنوز ونفائس، قلّمًا توجد في خزائن الملوك.» (الكيلاني، 2011، ص: 8)

كما لجأ كامل الكيلاني إلى إدراج بعض العبارات الدّينية الإسلامية حين ترجمته للمقاطع الفرنسية وذلك لحاجة في نفسه ألا وهي تربية الطّفل تربيةً إسلامية سمحاء وأمثلة ذلك:

(donnez-moi un peu de temps pour prier Dieu...» (Perrault, 1993, p 119...»

«...تصليّ لربّها، وتستغفره من ذنبها...» (الكيلاني، 2011، ص: 13)

في التّرجمة السّالفة الذّكر نجد مقابل الفعل الفرنسي 'prier' هو تصليّ لربّها، مع أنّنا كنّا لنفضّل العبارة العربية 'تدعو ربّها' عوض 'تصليّ لربّها'. لأنّ الزّوجة هنا تدعو

وتستغفر ربّها.

(Dieu soit loué...» (Perrault, 1993, p 120...»

«...الله قد نجّانا وعينه ترعانا...» (الكيلاني، 2011، ص: 23)

هنا لجأ المترجم إلى إعطاء وزن موسيقي إلى ترجمته وتحويل النثر إلى بيت شعري حرّ. كما أعطى هذا الربّ إسم الإله الذي يؤمن به الطّفل المسلم. ولكنّ كنّا لنميل نحو ترجمة العبارة الفرنسيّة مباشرة إلى اللّغة العربيّة بالمكافئ المشهور لها ألا وهو: 'الحمد لله'.

ولم تأت هذه العبارات الإسلاميّة نتيجة لترجمة العبارات الدّينية الفرنسيّة فقط، بل وفي عديد المرات لجأ المترجم إلى إضافتها من تلقاء نفسه لإعطاء القصّة جوّاً عربياً إسلامياً ومنها:

* «...الله يخلق ما يشاء...» (الكيلاني، 2011، ص: 6) تأثراً بالآية الكريمة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ (القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 68) حتّى يُشبع فضول الطّفل ويعي أنّ الله قادر على كلّ شيء. فإذا أراد أن يخلق حياة زرقاء فإنّما يقول كن فيكون.

* «...داعية الله...» (الكيلاني، 2011، ص: 13)

* «...يا ربّ ضاقت حيلتي فنجّني من كربتي...» (الكيلاني، 2011، ص: 15) تأثراً بالدّعاء النبوي الشريف: «اللّهم إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلة حيلتي...»

* «...رحماك يا ربّاه...» (الكيلاني، 2011، ص: 20)

* «...الحمد لله الذي هيأ مجيئك...» (الكيلاني، 2011، ص: 25) تأثراً بالآية الكريمة: ﴿...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...﴾ (القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 43)

لا تدلّ هذه الإضافات الدّينية من لدن المترجم الذي حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة، إلّا على رغبته في أن يزرع في الطّفل العربي الصّغير سلوكيات وعادات لا تجعله يلجأ سوى إلى الله الواحد الأحد أثناء وقوع المصائب فيستعينه ويدعوه. ويحمده كذلك على نعمه وعلى خلاصه. كما يتعلّم الطّفل عن طريق قراءته للقصّة العربيّة المترجمة بأنّ الإنسان إذا ما توكلّ على الله فلن يضيّعه.

استبدل المترجم في المقطع أدناه الواقع الغربي بالواقع العربي. لأنّ التّرجمة الحرفية لهذا المشهد من شأنها أن تفتن الطّفل العربي عن ثقافته وعاداته الإسلاميّة المحافظة. فلم يرض أن تذهب الفتاتان لوحدهما مع أمّهما وشلّة من صديقاتها وبعض

الجيران الغرباء إلى بيت الرجل ذي اللحية الزرقاء كونه رجل أجنبي. فلجأ إلى تكييف الزبارة ثقافياً بقوله أنهم ذهبن برفقة أسرتهما، وعليه يمكن أن يكون الأب أو أحد المحارم ضمن هذه الأسرة المستضافة.

Il les mena avec leur mère, et trois ou quatre de leurs meilleurs amies, et»
(quelques jeunes gens du voisinage,...» (Perrault, 1993, p. 115

«...وجّه الدّعوة إليهما معاً، لتقضيّا مع أسرتهما...» (الكيلاني، 2011، ص: 13)

وحثّ يتجنّب الدّعوة غير المباشرة للمجون والاختلاط غير المحتشم الذي نجده في القصّة الأصلية ذات الثقافة الغربية الأوربية، لجأ الكيلاني إلى اختزال كلّ مظاهر اللّهو والنّسليّة والرّقص في مفهوم 'إكرام الضيف' الذي نفتخر به نحن العرب والمسلمين كوننا سباقين إلى هذا الخلق عالمياً ومنذ القدم.

ce n'était que promenades, ...que de danses, ...on ne dormait point... (Per-...
(rault, 1993, p 116

«...بإذلاً كلّ وسعه في تكريمهما...» (الكيلاني، 2011، ص: 8)

وأعتقد أنّ كامل الكيلاني قد أصاب جدّاً في عدم ترجمة العبارة الأجنبية الآتية:

(Après l'avoir embrassé, il monte dans son carrosse,...» (Perrault, 1993, p. 116»

بمعنى: صعد الرجل ذي اللحية الزرقاء إلى عربته بعدما قبل زوجته. ولو أنّه قام بترجمتها لكان خدش حياء الطفل العربي الصّغير ووضعها في موقف مُحرج. مع أنّ الثّبلّة هنا لم تأتي دقيقة المكان؛ هل كانت على الوجنتين أو على الشّفتين؟ وبما أنّي كنّت ومنذ بداية دراستي لمسألة ترجمة قصّة الطفل عن الآخر الأجنبي أتفادى الحذف ولا أشجّعه في التّرجمة، وخاصّة أثناء القيام بتكييف المقاطع المترجمة ثقافياً، فإنّي كنت أفضل ترجمتها كالتّالي: 'صعد الرجل ذي اللحية الزرقاء إلى عربته ولوّح إلى زوجته بيديه مودّعاً إيّاها...'

أمّا أحداث القصّة المترجمة فقد تشابهت مع تلك الأصلية فيما عدا نهايتها: أين غيّر المترجم العاقبة المميّنة المحتملة لزوجة الرجل ذي اللحية الزرقاء على يديه، وكذلك بدّل مشهد نهايته ومصرعه على يدي أخويّ الزّوجة اللذان جاءا لإنقاذها بالعفو والصّفح والتّسامح المتبادل في النّسخة المترجمة.

levant le coutelas en l'air, il l'allait lui abattre la tête...» (Perrault, 1993, p...»

(121)

Ils lui passèrent leur épée au travers du corps, et le laissèrent mort.» (Perrault,»
(1993, p 121

وكلّ ذلك استجابة لتعاليم الدين الإسلامي الذي يُنقّر من العنف والإرهاب
عكس ما يدعو إليه أعداءه من الدّاخل والخارج. بل هو دين سلام يدعو للعفو عند
المقدرة تأسّيًا بسيدّ الخلق -صلى الله عليه وسلّم- يوم فتح مكّة.

2.7. نتائج التّكييف الثقافي لقصة اللّحية الزّرقاء:

ما أستنتجه من خلال قراءتي للقصة المترجمة عن الثقافة الغربيّة (الأوربيّة)
هو أنّ المترجم لجأ في تكييف بعض المقاطع الواردة في النّص الأصلي الفرنسي بالحذف
تارةً، وبالتّغيير والإضافة تارة أخرى، وذلك كلّ من أجل التّوضيح وتوطيئ أجواء القصة
لدى الطّفل العربي/ المسلم الصّغير، حتّى لا يشعر ولو لبرهة أنّ ما يقرأه هو ترجمة.

كما يُحسبُ على الكيلاني أنّه يميل أكثر إلى إعادة الكتابة منحرفًا قليلا عن
مفهوم العملية التّرجمية المقدّس؛ والتي تدعو إلى حفظ أمانة المؤلّف والمؤلّف كلّما
استطاع النّاقل إلى ذلك سبيلا. وهذا شأن جُلّ إن لم يكن كلّ مترجمي زمانه وبلاده؛
كونهم يتحرّرون وبشكل كبير من سيطرة النّص الأصلي بسبب أو بدونه.

ولكن شفع هذا التّكييف الثقافي لكامل الكيلاني في ترجمته بأنّه سعى إلى
الدّعوة إلى تعاليم ديننا الحنيف، وتربية الطّفل الصّغير -رجل وامرأة الغد- تربية متّزنة
تواكب أسس وأخلاق أمّته، كما اجتهد في تجنبه كلّ ما من شأنه أن يخدش حيائه أو
أن يُعنفه.

8. خاتمة:

لا أعني وأنا أسرد مخاطر ترجمة القصص الأجنبية لأطفالنا العرب أنّي
أضيق على عملية التّرجمة الطّفولية؛ فأنا لست ضدّ التّواصل أو التّطعيم الثقافي مع
الآخرين... ولكن هذا التّواصل يجب أن يقوم على الاختيار الحسن؛ لنصلح ما فسد
من هذه القصص من فكر، ونصحج ما انحرف فيها من خُلق أو سلوك، ونحوّلها فيما
يتناسب مع مُثلنا وأفكارنا الإسلامية. لذلك وجب تكييف القصص الأجنبي عند ترجمته
للغة العربي لضمان تقديم كلّ ما هو مفيد لأطفالنا يخدم به نفسه ووطنه مستقبلاً.

ما تزال المكتبات العربي تشهد ازدهارا ملحوظا في كتابة القصة للطفّل وفي
جلبها إليه من الدّول الأوربيّة والغربيّة عموما عن طريق التّرجمة الفرديّة والجماعيّة،

الرسمية والخاصة. كما هناك من الدول العربية من تُقيم الجوائز والملتقيات في هذا الشأن وذلك كله تشجيعاً للمترجمين العرب على الاهتمام بالطفل وبشخصه وبما يقرأ.

7. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.
- (1) أبو النصر، جوليندا. (1994). الأسس والمعايير التي يقوم عليها كتاب الطفل في مختلف فئاته العمرية. د ط.
- (2) أبو هيف، عبد الله. (1983). أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً. دمشق. سوريا.
- (3) الأسعد، عمر. (2000). أدب الأطفال. الوراق للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- (4) بريغش، محمد حسن. (1992). أدب الأطفال تربية ومسؤولية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، مصر.
- (5) التوثيق، وزارة المعارف السعودية، عدد 36، 1986.
- (6) الحديدي، علي. (1973). في أدب الأطفال. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة السابعة. القاهرة. مصر.
- (7) خواني، زهراء. (2008). أدب الأطفال في الجزائر، دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعامية (1990-2004). أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان.
- (8) خياط، أحمد. (1994). الغزيلة أو عنزة السيد سيقان. دار البشري للنشر والتوزيع. س/ بلعباس. الجزائر.
- (9) زلط، أحمد. (1990). أدب الطفولة. أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية. الشركة العربية للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.
- (10) السيد حلاوة، محمد. (2003). الأدب القصصي للطفل. منظور اجتماعي ونفسي. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. مصر.
- (11) عبد التواب، يوسف. (1985). كتب الأطفال في عالمنا المعاصر. دار الكتاب المصرية. القاهرة. مصر.
- (12) عبد العزيز، عبد المجيد. (1957). القصة في التربية وأصولها النفسية وتطورها. المكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. مصر.
- (13) العناني، حنان. (1996). أدب الأطفال. دار الفكر. عمان. الأردن.
- (14) العنتيل، فوزي. (1966). الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الإبداع. مجلة الطبيعة. السنة الثانية. القاهرة. مصر.
- (15) عوض، إبراهيم. (2014). الترجمة وأثرها في تطور القصص العربي.
- (http://www.alukah.net/literature_language/0/67294/ (20/08/2019- 23:14

- (16) الغزالي، محمد أبي حامد. (1991). إحياء علوم الدين، الجزء الأول، دار الثقافة، الجزائر، الطبعة الأولى.
- (17) الفيصل، سمر روي. (1987). ثقافة الطفل العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سوريا.
- (18) الفيصل، سمر روي. (2001). الترجمة وثقافة الطفل العربي. الشرق الأوسط. جريدة العرب الدولية. العدد 8083.
- <https://archive.aawsat.com/details.asp?section=19&issueno=8083&article=21411#.X3YoR8L7SM8> (01/10/2019- 20:06)
- (19) الكيلاني، كامل. (2011). اللّحية الزّرقاء. كلمات عربية للترجمة والنّشر. القاهرة. مصر.
- (20) محمود، حسن إسماعيل. (2008). المرجع في أدب الأطفال. دار الفكر العربي للطباعة والنّشر. القاهرة. مصر.
- (21) المسدي، عبد السلام. (د ت). الترجمة بين الأمانة والخيانة. سلسلة أبحاث المؤتمرات. قضايا الترجمة وإشكالياتها. المجلد 1. س الأعلى للثقافة. الكويت.
- (22) الهيّتي، هادي نعمان. (1978). أدب الأطفال. دار الحرّية. بغداد. العراق.
- (23) الهيّتي، هادي نعمان. (1988). ثقافة الطّفل. فلسفته، فنونه، وسائطه. سلسلة عالم المعرفة 123. مطابع الرّسالة. الكويت.
- (24) PERRAULT, Charles. (1993). Contes. Maxi poche classique français. Booking International. Paris. France.

